التسيب والفوضى

هل يدعو نهج المونتيسوري إلى التسيب والفوضى؟

كيف يتربى الطفل على الانضباط والالتزام بدون أي نوع من أنواع العقاب، أو أي شكل من أشكال الثواب؟

إستراتيجيات تعليم الطفل الانضباط:

ضعوا قواعد واضحة!

في فصل المونتيسوري يتعلم الطفل في أول أسبوعين القواعد، أين يعلق معطفه، وأين يخلع حذاءه، وأين يضع أشياءه، وكيف يتعامل مع الأنشطة المعروضة، وكيف يطلب المساعدة، وكيف يتعامل مع زملائه، وكيف يغسل يديه قبل وبعد الطعام واستخدام الحمام، وكيف يتعامل مع سجادة العمل، وغيرها من قواعد الفصل. هذه القواعد ثابتة ويتم شرحها بوضوح للطفل، ثم تمثيلها ويتبادل الطفل والمدرسة الأدوار حتى تتأكد المدرسة أن الطفل قادر على الالتزام بكل قاعدة.

نفس الشيء في المنزل، ضعوا قواعد واضحة يلتزم بها كل من في البيت! لا تضعوا قواعد للطفل فقط لأن هذا ضمان لتمرد الطفل عليها.

الالتزام بالقواعد في جميع الأوقات!

لا توجد استثناءات للقواعد. لا استثناء لأشخاص أو أوقات. عدم الالتزام بالقواعد من شأنه لخبطة الطفل وإرباكه! الأطفال من عمر ستة أشهر حتى سبعة أعوام يكوِّنون حس النظام! إحساس الطفل بالنظام ينبع من داخله ويحتاج إلى إشباعه دائمًا! على عكس الظنون الشائعة، يولد الطفل منظمًا ويحتاج للروتين والنظام حتى يستقر نفسيًّا!

التذكير بالقواعد!

إذا أخل الطفل بقاعدة ما، كل ما عليكم هو تذكيره بالقاعدة:

«مش احنا اتفقنا إن مافيش أكل في أوضة النوم؟»

«مش احنا عندنا قاعدة بتقول إن ماحدش يدخل بالجزمة البيت؟»

التذكير بالقواعد يساعد الطفل على الالتزام بها وتنفيذها في وجود الأهل وفي عدم وجودهم!

كيف تضعون قواعد وتضمنون الالتزام بها؟

الطفل أقل من أربعة أعوام غير قادر على تعميم القواعد، مثلًا، اليوم قلتم له ألا يلمس الفرن الساخن في مطبخكم. لا تتوقعوا أن يربط عقل الطفل هذه القاعدة بكل الأفران الساخنة. سيحتاج الطفل أن تذكروه بعدم لمس الفرن الساخن في مطبخ الجدة أو العمة.

تذكروا أن الطفل أقل من ثلاثة سنوات يحتاج للتذكرة دائمًا ولهذا عليكم بتكرار القواعد ليحفظها وتصبح جزءًا من تفكيره.

اجعلوا القواعد مرئية. إذا كان طفلكم صغيرًا، ارسموا القاعدة، وإذا كان طفلكم كبيرًا، أضيفوا سطرًا مكتوبًا تحت الصورة. لا تضعوا جميع القواعد في نفس الصفحة أو الكتيب، ولكن ضعوا كل قاعدة في صفحة مستقلة.

الهدف هو مساعدة الطفل على رؤية ولمس القواعد وربطها بصريًّا وكذلك، في الموقف المناسب، يمكنكم سؤال الطفل عما تقوله القاعدة، وعليه الإشارة للصورة الملائمة لتطبيق القاعدة.

في بعض الأوقات يمكنكم أن تمنعوا البلاء قبل وقوعه من خلال مراجعة القاعدة قبل الموقف. مثلًا قاعدة اللعب الجماعي قبل لقاء الأصدقاء. قاعدة التعامل في السوبرماركت قبل الذهاب إلى السوبر ماركت.

وفقًا لعمر طفلكم ستحدد القواعد، ففي الأعوام الأولى ستكون أغلب القواعد عن رمي الطعام والخلاف على الألعاب والعض والضرب والنظام. بعد السادسة ستكون القواعد أكثر تفصيلًا كتلك القواعد الخاصة بنبرة الصوت ومقاطعة المتحدث والتدخل في الحوار واختيار الصواب. بعد العاشرة ستكون القواعد خاصة بآداب الحوار واللغة المقبولة في المنزل والمواعيد والمسؤوليات والمهام.

تذكروا أن القواعد ليست عقابًا، ولكنها بمثل القانون الذي يحمي حقوقًا، ويفرض واجبات، كل من يعيش مع الطفل في نفس المنزل.

مقاييس الانضباط وفقًا لعمر الطفل:

في أول ثلاثة أعوام من عمر الطفل يصعب عليه الالتزام والانضباط التام، ولكن هذه فترة مهمة جدًّا لإعداد الطفل للالتزام في السنوات القادمة. في هذه الفترة يعمل عقل الطفل على امتصاص وتخزين كل ما يحدث حوله. يخزن الطفل كل تصرفاتكم وكل كلامكم وكل ردود أفعالكم! يتعلم الطفل منكم قواعد المنزل، ويتعلم منكم مدى أهمية الالتزام بهذه القواعد.

في أول ثلاثة أعوام دوركم هو أن تكونوا قدوة وأن توضحوا للطفل القواعد وتساعدوه على تنفيذها.

ما بين ثلاثة وستة أعوام، سوف يحاول الطفل كسر جميع القواعد لأن في هذه الفترة يحاول الطفل استكشاف حدوده واستكشاف مدى جديتكم. سوف يحاول الطفل التفاوض

معكم من أجل ساعة زيادة من مشاهدة التليفزيون أو بسكوتة أخرى أو عدم غسل أسنانه وهكذا!

لا تنزعجوا ولا تعاقبوا الطفل لأن هذه مرحلة من مراحل نموه النفسي! كسر الحواجز وتخطي الحدود وتحدي السلطة!

دوركم هنا هو الهدوء وتذكير الطفل بالقاعدة! لا تكسروا القاعدة أبدًا لأن هذا سيفتح عليكم أبواب جهنم!

الطفل في عامه السابع يعرف القواعد وتدرب عليها وقادر تمامًا على تنفيذها! إذا أصر الطفل على كسر قاعدة ما بعد سن السادسة فعليكم بالحوار! اسألوا طفلكم عن سبب اعتراضه على القاعدة؟ اعرفوا وجهة نظره واشرحوا له وجهة نظركم! حاولوا أن تصلوا إلى حل وسط ويمكنكم أن تضعوا قاعدة جديدة تناسب المرحلة العمرية الجديدة!

تذكروا أن هدف نهج المونتيسوري، وهدفكم، هو طفل ملتزم ومنضبط من الداخل! طفل يختار الصواب في وجود أو عدم وجود رقابة! طفل مكافأته هي تعلم شيء جديد وإتقان ما يعرف! طفل عندما يكبر يحركه حافز داخلي للعمل والالتزام!

كيف اختلف نهج المونتيسوري عن غيره في التعامل مع السلوك السيئ للطفل؟

أكبر مميزات د. «ماريا مونتيسوري»، والسبب الأساسي لاختلاف نهج المونتيسوري عن أي نهج تعليمي أو تربوي آخر، هو قدرتها على التوحد مع الطفل، استطاعت أن تدخل عقل الطفل وترى دوافعه ومبرراته ونظرت للأشياء والأحداث من منظوره ومن خلال عينيه، ومن ثم استطاعت أن تتحدث بلسانه وتلبي احتياجاته وتقوم أخطاءه بدون ترك آثار سلبية على شخصيته في الحاضر أو المستقبل.

الكثير من الأمهات يعانين من سوء سلوك الطفل الذي يظهر في:

- العند وتحدي الأوامر
- تحطيم الأشياء وتخريبها
- الفظاظة

- التبول عن عمد
- إساءة الأدب أمام الناس

عند دراسة مثل هذه التصرفات يمكن أن تُحصر الأسباب في:

- الغضب
- الغيرة
- الاحتياج للاهتمام
- الإهمال
- التهاون

سوف أوضح الآن الصلة بين السلوكيات الخاطئة ودوافعها، حتى يمكن للأهل تفاديها أو تداركها.

أولًا، أذكر نفسي وأذكركم أن الطفل الغاضب ظاهريًّا، في باطنه طفل يعاني من احتياجات لم يتم تلبيتها:

- طفل يحتاج إلى الحركة ولكنه مطالب بالجلوس والصمت لفترات طويلة.
- طفل يحتاج أن يستكشف من خلال حواسه ولكنه مطالب بعدم لمس أي شيء حوله أو وضعه في فمه أو شمه أو استكشافه.
- طفل يحتاج إلى الخروج ولكنه حبيس المنزل.
- طفل يتم الاعتداء عليه جسديًّا بالضرب أو الوخز أو الزغد أو القرص أو أي طريقة أخرى.
- طفل محاصر بالخلافات الأسرية.
- طفل يعاني من الزعيق والتعنيف المستمر.

كل هذه الأسباب تخلق طفلًا غاضبًا يخرج غضبه في السلوك السيئ والعدوانية تجاه البيئة أو الأطفال أو الأهل.

الغيرة محرك آخر للسلوك السيئ:

- قد تكون الغيرة من أخ أو أخت في الطريق.
- من أخ أو أخت حديث الولادة.
- من أخ أو أخت مفضل ومدلل ومقرب.
- من طفل آخر في العائلة له الأفضلية ويستحوذ على الإعجاب.

أما الاحتياج للاهتمام، فلنعلم أن الاهتمام الذي يحتاجه الطفل ليس فقط الاهتمام بنظافته وملبسه وطعامه:

- يحتاج الطفل منذ ولادته للحضن واللمسة الحانية والوقت القيم مع أهله.
- تعريف الوقت القيم هذا هو وقت بدون تليفزيون أو موبايل أو أي شاشة أخرى تشغل الأهل عن الطفل.
- يتم قضاء هذا الوقت في اللعب والكلام والقراءة والضحك معًا.

بدون هذا الاهتمام يلجأ الطفل إلى السلوك السيئ كتعبير عن مشاعره السلبية، وقد ينفصل عن الواقع ويدمن الشاشات والألعاب الإلكترونية. هناك أم لطفل في السابعة من عمره شكت لي إدمانه للأفلام الإباحية!

أما الإهمال، فهو الوجه الآخر لعدم الاهتمام:

- الطفل المهمَل لا يجد من ينمي قدراته ويضيف إلى معلوماته ويوسع مداركه.
- الطفل المهمَل قد يعاني من إهمال عقله أو إهمال جسده أو إهمال احتياجاته العاطفية.
- تشخيص الأطباء في بعض حالات التأخر اسمه: فقر بيئي!

هذا الطفل يسيء التصرف لأنه لا يعرف أصلًا كيف يجب أن يتصرف. لا يجد قدوة يتبعها ولا يتم توجيهه ويتم عقابه بكثرة ويستخدم العقاب كتبرير للإهمال!

أخيرًا التهاون، التهاون نوع آخر من الإهمال!

- التهاون هو عدم المبالاة أصلًا بتوجيه الطفل وإرشاده للسلوكيات المقبولة اجتماعيًّا!

- يرى الأهل أن هذا الطفل من حقه أن يتطاول على أي شخص ويجدون هذا التطاول مضحكًا.
- من حقه أن يخرب أي شيء ويجدون هذا الخراب فداء للطفل.
- من حقه أن يؤذي أي طفل آخر لأنهم أطفال يلعبون معًا!

في أغلب هذه الحالات نجد أن الأهل هم الأولى بالعقاب على سلوكهم السيئ تجاه الطفل!

كثرة استخدام كلمة «لا»، وأساليب العقاب القديمة مثل الضرب والحبس، وأساليب العقاب الحديثة مثل العزل Time Out أو الحرمان، كلها أساليب لن تحل المشكلة!

حل المشكلة أولًا في اكتشاف الأسباب الحقيقية لتصرفات الطفل وعلاجها من المنبع، ثم تقويم الطفل من خلال تعليمه عواقب تصرفاته.

مثال لطفل يتبول عن عمد، بدلًا من الضرب والإهانة وإظهار الضيق، على الأهل عدم إظهار أي رد فعل، وفي منتهى الهدوء يقال للطفل: «لقد ابتلت ملابسك واتسخت الأرض! سوف تساعدني في تنظيفهما الآن»، ويتم إعطاء الطفل فوطة مبللة ويتعلم كيفية تنظيف الأرض، ثم يطلب من الطفل غسل ملابسه في الحوض أو الطشت أو الغسالة ونشرها على الحبل لتجف. هكذا يتعلم الطفل أن هذا السلوك السيئ لن يلفت انتباه أحد له، ولن يضايق أحدًا، ولكن عاقبة سلوكه هي تنظيف ما أتلف.

إذا كسر الطفل لعبة عن عمد، فعقابه الحقيقي هو أن يلملم أجزاءها ويرميها في الزبالة. هكذا يتعلم أنه إذا لم يتحكم في تصرفاته فسوف يخسر مقتنياته، وهكذا!

أخيرًا، إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع! لا تطلبوا من طفل صغير الجلوس في مكان عام مثله مثل الكبار، ولا تتوقعوا من طفل الصمت في زيارة عائلية، ولا تأملوا من طفلكم التحكم في نفسه دائمًا وتمامًا، خاصة إذا كان أقل من سبعة أعوام.